﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣﴾

[إبراهيم: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اتّفقت الأقوام على إخراج رُسلها كلٌّ في زمانه ومكانه

لمّا انقضت هذه المحاورة، وقد علم منها كل مُنصف ما عليه الرّسل من الحلم والعلم والحكمة، وما عليه مخالفُهم من الضّلال والجهل والعناد، ولمّا كان في الكلام ما قد يُشعر بانقضائه ابتدأ ﷺ عنهم محاورة أخرى، عاطفًا على ما مضى فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَتَعُودُنَّ﴾: جَذر الكلمة (عود) يعودُ عوْدًا وعَوْدةً، والعَوْدُ: الرُّجوع إلى الشَّيء بعد الانصراف عنه، إمّا انصرافًا بالذّات، أو بالقول والعزيمة[2]. قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: 107]، ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: 28]، وسُمِّيَت العادة عادةً؛ لأنّ صاحبها لا يزال معاودًا لها[3]. والعَوْدُ: الطّريقُ القديم[4]. ورَجَعَ فلانٌ عَوْدَه على بَدْئه. وفعلتُ ذَلِك عَوْدًا على بَدْء[5]. والعَوْدُ هنا في الآية بمعنى أن تسيروا على طريقة ملّتنا.

2) ﴿مِلَّتِنَاۖ﴾: جَذر الكلمة هو (ملل)؛ سميت مِلَّة لاستمرار أهلها عليها، وقيل: أصْلها التّكْرار من قَوْلك: (طَرِيق مَلِيل) إذا تكَرّر

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 177/4.
(2) الرّاغب، المفردات: (عود).
(3) ابن فارس، مجمل اللّغة: (عود).
(4) الخليل، العين: (عود).
(5) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (عود).

سلوكه حَتَّى توطأ، وَمِنْه: الْمَلَل، وَهوَ تكْرار الشَّيْء على النّفس حَتَّى تضجر، والْمِلَّة: مَذْهَب جماعَة يحمي بعضهم لبَعض عِنْد الأمور الْحادِثَة[1]. ومنه: المِلّة: الطّريقة المسلوكة، ومنها: ملّة إبراهيم خير المِلَل، وامتلّ فلانٌ ملّة الإسلام، ومنه: أملّ عليه الكتاب، ومنه: مَلملَه المرض فتململ. وكحله بالملمول: بالمكحال[2].

3) ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾: جذر الكلمة هو (هلك)؛ وهلك يهلك: مات[3]؛ وكلُّ شيءٍ يصيرُ عاقبتُه إلى الهَلاكِ[4]. وأهلكَ الشَّيء واستهلَكَه. وهوى في هلكٍ[5]. وفي الآية توكيدٌ معناه: إنزال عذاب اللّه على الكافرين، فأهلكهم واستبدل بهم المؤمنين.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الخطاب بجملته مواساة للرّسول ﷺ

توعّد الكافرون رُسلهم الّذين أُرسلوا إليهم بإخراجهم من أرضهم، أو عودتهم إلى ملّتهم زعمًا منهم أنّ رسلهم كانوا على ملّتهم، فجاء الوحي الإلهيُّ للرّسل بأنّ هؤلاء المتوعّدين هم الهالكون لظلمهم، وجاء الوعيد الإلهيُّ مؤكّدًا بالقسم تنبيهًا على تحقّق وقوعه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الواو في: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

التّهديد للرّسل بسبب إصرارهم على الإيمان

(الواو) استئنافيّة؛ وقد استؤنف هنا تهديد الّذين كفروا لرسلهم بعد ما ظهر منهم من الثّبات على الإيمان، وما أظهروا من الجَلَد والتّمسّك بمبدأ التّوكّل على اللّه مهما واجهوا من الأذى والخِذلان من أقوامهم؛ فهم رُسُلُ اللّه، العالمون بعظيم شأن الرّسالة،

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة: 220 - 221.
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (ملل).
(3) ابن سِيده، المُحكم: (هلك).
(4) الخليل، العين: (هلك).
(5) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (هلك).

المتّصلون بالوحي، ويمكن أن تكون الواو عاطفةً على ما تقدّمها من عطف القصّة على القصّة.

دلالة ذِكر الكافرين دون تعيين: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

من الّذين كفروا أهل حلّ وعقد يتضاعف جُرمهم بتضاعف مكانتهم

يمكن أن يكون هؤلاء القائلون هم بعض المتمرّدين في الكفر من أولئك الأمم الكافرة الّتي نقلت مقالاتِهم الشّنيعة دون جميعهم كقوم شُعيَب؛ ولذلك لم يقل: (وقالوا لرُسُلهم لَنُخرجنَّكم من أرضنا أو لَتعودُنَّ في مِلَّتنا)، ويجوز أن يكون المُراد بهم أهل الحلّ والعقد الّذين لهم قدرة على الإخراج والإدخال، ويكون ذلك علّةً للعدول عن (قالوا أيضًا)[1].

نكتة التّعبير بالاسم الموصول وصلته الفعليّة:

رسوخ قضيّة الكفر عند المُعاندين للرّسول والرّسالة

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تعبير بالاسم الموصول؛ غايته التّعريض بذِكْر الصّلة، وأفاد هذا التّعبير كذلك شمول عموم الكافرين، ودلّ بالصّلة الفعليّة على رسوخ قضيّة الكفر لديهم؛ لأنّ الموضع موضع تعميم للمنطق الّذي تبنَّته الأقوام في الرّد على الرّسل الّتي دعت إلى عبادة الله وحده، والاستعانة به والتّوكّل عليه. والاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ للذُّكور؛ وإنّما كان التّغليب من باب المجاز؛ لأنَّ اللّفظ لم يستعمل فيما وُضِع له[2]، كما أنّ الاسم الموصول يتطلّب جملة صلة هي عنوان المُتَحدّث عنهم.

دلالة اللّام في: ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾:

تعيين المخاطَبين بخطاب مباشر واختصاصهم به

بالنّظر في قوله تعالى: ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ نجد أنَّ (اللّام) هنا للتّبليغ، وهي الجارّة لاسم السّامع لقولٍ أو ما في معناه، كما ورد هنا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ﴾، وهي للاختصاص أيضًا، فقد اختصّ الّذين كفروا رسلهم بهذا الخطاب، وهو قولهم: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/189.
(2) السّيوطيّ، الإتقان: 3/135.

أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ﴾، وفائدة ذلك كلِّه تعيين المُخاطَبين بخطابٍ مُباشرٍ، واختصاصهم به. وفائدة ذلك أيضًا ثبوتُ الحُجّة على الّذين كفروا، وإقامةُ الدّليل عليهم ورسوخه.

دلالة الجمع ﴿لِرُسُلِهِمۡ﴾:

جُمعت لفظة (رسل) في قوله تعالى: ﴿لِرُسُلِهِمۡ﴾ للدّلالة على أنّ مقالة الكافرين في كلّ زمنٍ واحدة، وهذا من الإيجاز لرحلة الرّسالات السّماويّة.

سُنّة الكافرين مع كلّ المرسلين واحدة

معنى اللّام في ﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم﴾:

قوله: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم﴾ جواب قَسَم مُقدَّر، فائدته التّوكيد، فقد دخلت (اللّام) هنا على الفعل المضارع المُؤكّد (نُخرجنَّ)، ويكون ذلك في الأمر العظيم المُتعجَّبِ منه؛ إذ كيف يُطْرَدُ مَن يدعو إلى الخير، ومَن يدعو إلى عبادة الله وحده؟

إخـراج الـرّسـل من أرضهم أمرٌ جَلَل مُتعجّب منه

نكتة توالي المؤكّدات: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم﴾:

توالتِ المؤكّدات في قوله: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم﴾ وهي: لام القَسَم ونون التّوكيد الثّقيلة المتّصلة بالفعل المضارع الّذي يُفيد التّجدّد، فيظهر كمال العزيمة على إخراج المؤمنين، ويتّسق ذلك مع كمال العزيمة على الصّمود والبقاء على ما أمر الله به الرُّسُل والمؤمنين فقالوا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾.

إصرار أهل الحقّ على موقفهم، وإصـرار أهـل الـبـاطـل على موقفهم

دلالة ﴿مِّنۡ﴾ في: ﴿مِّنۡ أَرۡضِنَآ﴾:

ورد حرف الجرِّ ﴿مِّنۡ﴾ لابتداء الغاية في قوله: ﴿مِّنۡ أَرۡضِنَآ﴾ فأفاد معنى أنّنا سنُخرجكم من هذه البقعة من الأرض الّتي أنتم فيها إلى آخر حدود ما نملك منها، أو لنخرجنّكم من قريتنا أو مدينتنا. كما أنّ (مِنْ) تستعمل للابتداء عمومًا سواء أكان الحدَث ممتدًّا أم لا. فهي تفيد ابتداء وقوع الحدَث. فيكون تهجيركم ابتداءً من أرضنا إلى أيّ بقعة تصل قوّتنا وأيدينا إليها، فنُخرجكم ونُطاردكم.

مطاردة الرّسل وتهجيرهم من الأرض

سرّ الإضافة في قولهم: ﴿أَرْضِنَآ﴾:

دأبُ المكذبين أن يدّعوا ملكيتهم لـــلأرض دون مخالفيهم وهذا تدليسٌ ظاهرٌ

الإضافة في قوله: ﴿أَرْضِنَآ﴾ بمعنى اللّام؛ أيْ: يكون المعنى (من أرضٍ لنا)، ويرى آخرون أنّ الإضافة ليست على تقدير حرف أصلًا، وتُفيد هذه الإضافة ﴿أَرْضِنَآ﴾ تعريفًا، لأنّ المضاف إليه معرفة، فقد عُلم أنّ الأرض الّتي تعود إلى الّذين كفروا ستكون محرّمة على رسلهم. وهو من قبيل التّعريف بالعهد؛ لأنّه يدلّ على واحد بعينه؛ وهي أرضهم الّتي يملكون، وهي معلومة لدى الرّسل المخاطبين. وهي هُنا بمعنى قريتهم أو مدينتهم الّتي يملكون أرضها، ويستثمرون مواردها، فيكون لهم التّأثير فيها، ويكون معنى ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾؛ أيْ: فلا نسمح أنْ يكون لدعوتكم أثرٌ فينا وفي ذرّيّاتنا.

معنى (أو) في قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾:

الإخراج من الأرض أو العَوْد عن المِلّة خـيـاران لـلـرّسـل ولـلـمـؤمـنـين لا ثالث لهما

في ﴿أَوْ﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: أنَّها على بابها من كونها لأحد الشَّيئَيْن، وهو الأظهر. والثّاني: أنَّها بمعنى (حتَّى)؛ أي: إلى حتّى تعودنّ في ملّتنا، فنسمح لكم بالبقاء والعَودِ إلى أرضنا، والثّالث: أنَّها بمعنى (إلّا)؛ كقولهم: لألزمَنَّكَ أوْ تَقْضِينِي حَقِّي. ويرى ابن عادل في تفسيره أنّ: القول بمعنى (حتّى) أو (إلّا) مردودان بخلاف المثال المُتقدّم[1]. ونُقل عن ابن هشام شارح (الإيضاح) أنَّ (أو) لا تكون بمعنى (إلّا) إذا لم تدخل على الفعل[2].

دلالة اللّام في: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾:

أمـر بعيد المنال فـــلا يـمـكـن أن يُـسـتـجـاب للكافرين

في قوله عزَّ من قائل: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ (اللّام) لام القَسَم؛ وهي مختصّة بلفظ اللّه تعالى، فقد دخلت على الفعل المضارع المُؤكّد (تعودُنَّ)[3].

(1) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3104، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/189.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/445.
(3) سِيبويه، الكتاب: 2/144.

فاللّام دالّة على المُقسَم به المحذوف، وتقدير المعنى: واللّه لَتعودنّ في ملّتنا، وهو تأكيدٌ لعزم الكفّار على حصول أحد الأمريْن، وللّام والمضارع المؤكّد بالنّون دلالة اتّخاذ القرار فيما ذكروه. وإصرارهم على إيذاء رسلهم إن لم يرجعوا عن رسالتهم الّتي جاءوا بها. فموقفهم هو موقف الإصرار على الكُفر، وإيذاء الرّسل إن استدعى الأمر ذلك، ولا يصدّهم عن ذلك شيء.

نكتة التّعبير بالعَوْدِ رغم أنّهم لم يكونوا على دينهم:

يستحيل تصوّر أن الرُّسل كانوا على ملّة الكفر قبل الرّسالة

العَوْدُ في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ بمعنى الصَّيرورة؛ إذ ليس المُراد حقيقة العَوْد؛ لأنَّ الرُّسل لم يكونوا من ملّة قومهم قبل الرّسالة[1]، وهو كثير في كلام العرب، أو أنّ الخطاب، وإن كان في الظّاهر مع الرّسل إلّا أنَّ المقصود بهذا الخطاب أتباعهم وأصحابهم، فغلَّبوا في الخطاب الجماعة[2]، فيكون ذلك بحكم التّغليب؛ إذ لم يكونوا في مِلّتهم أصلًا حتّى يعودوا إليها، ومثله قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ [الأعراف: 89][3]، أو المعنى: لَتعودنّ في سكوتكم عنّا إغفالًا، وذلك عند الكفّار كونٌ في ملّتهم[4].

نكتة تقديم ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾ على ﴿لَتَعُودُنَّ﴾:

المقامُ مقامُ تخويفٍ وتهديد وإصرار على الإيذاء

في الآية ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ قدّم البيان القرآنيُّ الإخراج على العَود؛ وسبب ذلك أنّ المقام مقام تخويف، فلذلك بدءوا بالإخراج[5] ولربّما كانوا قد علموا في دواخلهم أنّ الرّسل لن تعود عن دعوتها، فقدّموا الإخراج؛ لأنّهم قد همّوا به فعلًا، فقُدِّم الممكنُ على المستحيل.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/445.
(2) النّحّاس، معاني القرآن: 3/54، وابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3104.
(3) الزّركشيّ، البرهان: 3/309.
(4) ابن عطيّة، المُحرّرُ الوجيز: 3/329.
(5) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/445.

تهديدُ الرّسل بإخراجهم من ديارهم أو التّخلّي عن دعوتهم

دلالة (في) المجازيّة: ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾:

في قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، نجد أنّ ﴿فِي﴾ ظرفيّة مجازيّة، فلم يَقُلْ لتعودنّ إلى ملّتنا أو مع ملّتنا، وفائدة ذلك معنى العَود إلى ما كنتم عليه قبل دعوتكم؛ إذ كان الأنبياء يعيشون بين أقوامهم قبل أن تأتيَهم الرّسالة. ووجه الاستشهاد: مجيء ﴿فِي﴾ مفيدة معنى المصاحبة؛ لأنّ المعنى: ادخلوا مع ملّتنا أو أمّتنا؛ و﴿فِي﴾ الّتي تفيد المصاحبة؛ هي الّتي نستطيع أن نضع مكانها (مع)[1]. فتكونون مُسالمين لأهل ملّتنا مصاحبين لهم، لا تدعونهم بدعوتكم، ولا تُنكرون عليهم ما هم عليه من العبادة والتّديّن، والاستسلام التّخلّي عن دعوتكم، فقوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾؛ أيْ: في ديننا وأهل ملّتنا[2]، وهو مجاز مُرسَل علاقته الحاليّة. فقُصد منه العَوْدُ إلى العيش في مجتمعنا كما كنتم قبل رسالتكم، وتَذَرون ما تدعوننا إليه من الدّين الجديد.

المِلَلُ الأرضيّة تُنسبُ إلى الأقوام، والرّسالات السّماويّة تُنسب إلى الله

سرُّ الإضافة في قولهم: ﴿مِلَّتِنَا﴾:

أُضيفتِ الملّة إلى الضّمير (نا) في قوله: ﴿مِلَّتِنَا﴾، وتعريف الملّة أنّها عائدة إليهم، فتعرّفت بهم، لتدلّ على أنّها ملّة أرضيّة، ولهذا ربط شرط العَود إلى الملّة بالإخراج من الأرض، وكلاهما كانا مضافيْن إلى ضميرهم (نا)، فهذه أرضهم تحتكم إلى ملّتهم وملّة آبائهم، فمَن أراد تغيير ملّتهم فعليه أن يخرج من أرضهم.

اشتملت ردود الكُفّار على التّهديد والتّعجيز

دلالة القسَم في ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾ و﴿لَتَعُودُنَّ﴾:

في قوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾، وقوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ جاء تأكيد الوعيد بلام القسَم، أيْ: ليكوننّ أحد الأمريْن لا محالة، إمّا إخراجكم وإمّا

(1) ابن هشام، أوضح المسالك: 3/35.
(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ص: 336.

عودكم حالفين على ذلك[1]، وقد دلّ ذلك على تأكيد الوعيد تهديدًا للرّسل، وبدأوا بالأيسر وهو الإخراج، وأتبعوه الأصعب، وغرضهم من كلّ ذلك أن يتراجعوا عمّا يدعون إليه.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾:

جـاء الـوحـيُ للرُّسُل بِبُشرى النّصر والتّمكين عـقـب تـبـجّـح الـكـافـريـن وتوعّدهم

الفاء العاطفة في قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾ أفادت التّرتيب والتّعقيب دون التّراخي؛ فهي توجب أنّ الثّاني بعد الأوّل، وأنّ الأمر بينهما قريب[2]، ففي الوقت الّذي قال فيه الّذين كفروا لرسلهم ما قالوا، وما توعّدوا وتبجّحوا به، جاء الوحي إلى الرّسل أنّ اللّه سيهلك الظّالمين، وأتاهم وعد اللّه بقوله: ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾. فالتّعقيب معناه: وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بغير مُهلة أو بمدّة قريبة، فتجعل ذلك متّسقًا بعضه في إثْر بعض[3]. فلمّا توكّلوا على اللّه حقّ التّوكّل جاءهم وعد اللّه بالنّصر والتّمكين.

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾:

اخـتـصّ الـلـه تـعـالى رسُـلَـهُ بـالـنّـصـر والتّمكين

تقديم شبه الجملة ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ يُفيد الاختصاص، وتدلّ على معيّة اللّه لرسله، وللمؤمنين وتأييّدهم بالرّسالات السّماويّة، فهم المؤمنون به المتوكّلون عليه، الدّاعون إلى رسالاته، فاختصّهم اللّه تعالى بالقُربى منه وبالنّصر على أعدائهم، فكان وحيه إليهم: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾، وكان وعدًا مفعولًا مُحقّقًا، فضلًا عن أنّ هذا التّقديم يفيد تعجيل المسرّة.

نكتة الإتيان بلفظ (الرّبّ) دون لفظ الجلالة:

الآية مقام تغيير لنواميس الكون وقوانينه

يناسب لفظ (الرّب) الدّلالة على تغيير نواميس الكون وسُننه بـ(كُنْ فيكون)، وبما يؤدّي إلى إهلاك الظّالمين ونصر المؤمنين، أمّا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/512.
(2) المُبرّد، المُقتضب: 1/10.
(3) سِيبويه، الكتاب: 2/304.

لفظ (اللّه) فهو الدّالّ على معنى الإله المعبود وحده، والمقام هنا هو مقام تغيير لقوانين الكون ونواميسه؛ إذ إنّ اللّه ينصر الضّعيف على القويّ، ويكون ذلك في الوقت الّذي يختاره تعالى، ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ [القصص: 68].

نكتة إضافة الرّبّ إلى ضمير الرّسل:

التّشريف بالإضافة تحقيقٌ للتّأييد الإلهيّ

الإضافة في قوله ﷻ: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إضافة تشريفٌ وآية تأييد من اللّه لمَن انتسب إليه من الرّسل الّذين حملوا رسالة اللّه تعالى ليُبلّغوها للخلق، مُتحمّلين صنوف الأذى وأنواع العنت في سبيل ذلك.

سرُّ التّقييد بالبدل في قوله: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾:

ما كان وحيًا لا يتخلّف وقوعه ولا حصول وعيده

قوله: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾ جواب قَسَم مُضمَر، وفي ذلك القسم وجوابه وجهان: أحدهما: أنَّه على إضمار القول؛ أيْ: قال: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾. فيكون في العبارة إيجاز حذف كلمة، والثّاني: أنّه أجرى الإيحاء مجرى القول؛ لأنّه ضَرْبٌ منه[1]. والجملة بدلٌ من ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾، وسرّ وقوعها هذا الموقع بيان أنّ إهلاكهم خبرُ وحيٍ، فهو لا يتخلّف وقوعُه، وفي كلمة ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾ ما فيها من قوّة الخطاب، إضافة إلى اقترانها بنون التّوكيد الثّقيلة، فقد تعدّدت فيها المؤكّدات، وجاء الخطاب للمُتكلّم بصيغة المضارع الّذي يُفيد التّجدّد والإصرار على تحقيق معنى الإهلاك للظّالمين.

نكتة توالي المُؤكّدات في ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾:

القَسَم الإلهيّ عظيمٌ مُحقَّقٌ فهو من الجليل ﷻ

توالتِ المُؤكّدات في قوله: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾ وهي: لام القَسَم والفعل المضارع المُتّصل بنون التّوكيد الثّقيلة، فيظهر عظيم إرادة اللّه، وقسَمه سبحانه على إهلاك الظّالمين، فهنا هو مضمون الوحي

(1) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3104.

الإلهيّ للرّسل تطمينًا لهم، ونصرًا لهم ولدينهم ورسالتهم، ولأنّ عظيم المقام يقتضي تلك التّوكيدات.

الالتفات في ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾:

حضور المُهلِك يدلّ على شدّة الإهلاك

قال: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ﴾ على الغيبة، ثمَّ قال: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على التّكلّم فيكون في العبارة التفاتٌ فائدته أنّ حضور المُهلِك الّذي بيده آلة الإهلاك، يدلّ على شدّة الإهلاك للظّالمين، وعلى وقوع الإهلاك حتمًا. ونُقل عن أبي حيوة في قراءة شاذّة: (لَيُهلكنّ الظّالمين ولَيُسكننّكمُ الأرضَ) بياء الغيبة اعتبارًا لـ ﴿فَأَوۡحَىٰ﴾[1]، أو مناسبة لقوله ﴿رَبُّهُمۡ﴾ فلا يكون فيها التفات.

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿لَنُهۡلِكَنَّ﴾:

يتجدّد وعد الله ووعيده مع كلّ جيل يستحقّه

يكون وعيد الله على أولئك الكفّار الظّالمين متجدّدًا منه سبحانه بإهلاكهم؛ إذ يتجدّد المشهد مع كلِّ رسول أو نبيٍّ، ويتجدّد المشهد بعد الأنبياء والرّسل مع كلّ جيل. ويكون ذلك وعدًا من الله للأنبياء والمُرسَلين والمؤمنين نصرًا وتمكينًا. فإنّ أهلك أعداءهم فقد تحقّق نصرهم وتمكينهم.

سرُّ التّعبير بلام الجنس في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

هلاكُ الظّالمين مؤكَّدٌ مهما بلغوا مع العَنَتِ والجبروت

في قوله تعالى ﴿لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ورد لفظ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مُعرّفًا بـ(لام الجنس) الّتي تستغرق أصناف الظّالمين؛ لبيان هوان شأنهم، مهما بلغوا من القوّة والجبروت، وخافت من سطوتهم الدّنيا؛ لكنّ قدَرَ الله فيهم نازلٌ، ووعيدَه عليهم آتٍ، فقوله: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وحيٌ إلى الرّسل ﷺ، ووعدٌ لهم بنصرهم؛ بإهلاك الظّالمين، والتّعبير بالجمع بلام الجنس، بيان لسبب استحقاق الهلاك؛ فالظُّلم سببٌ كافٍ للهلاك، وهذا سرُّ العدول عن التّعبير

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/512.

بالكافرين إلى التّعبير بالظّالمين؛ لأنَّ الظّلم مُستبشَع عقلًا عند كلّ إنسان سويّ الفطرة.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المِلّة والدّين والشّريعة:

المِلَّة اسْمٌ لجملة الشَّرِيعَة، والدّين اسْمٌ لما عَلَيْهِ كلّ واحد من أهلها، فيُقال: فلان حسن الدّين، وَلا يُقال: حسَن المِلَّة، لِأن المِلَّة اسْم للشرائع مَعَ الْإِقْرار بِالله، والدّين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنّه يُقرّبهُ إِلَى الله، وَإِن لم يكن فِيهِ شرائع مثل دين أهل الشّرك، وكلّ مِلَّة دين؛ وَلَيْسَ كلّ دين مِلَّة، فاليهوديّةُ مِلَّة؛ لِأَنَّ فِيها شرائع، وَلَيْسَ الشّرك مِلَّة، وَإِذا أُطلق الدّين فَهوَ الطّاعَة الْعامَّة الَّتِي يُجازَى عليها بالثّواب مثل قَوْله تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19].

الدّين والشّريعة:

الشَّرِيعَة هِيَ الطَّرِيقَة الْمَأْخوذ فِيها إِلَى الشَّيْء، وَمن ثَمَّ سُمِّي الطَّرِيق إِلَى الماء شَرِيعَة ومشرعة، وَقيل: الشّارِع؛ لِكَثْرَة الْأَخْذ فِيهِ، والدّين ما يُطاع بِهِ المعبود، وَلكُلّ واحد منّا دين، وَلَيْسَ لكلّ واحد منّا شَرِيعَة، والشّريعة في هَذا الْمَعْنى نَظِير الْمِلَّة، إلّا أنَّها تُفيد ما يُفِيدهُ الطَّرِيق الْمَأْخوذ ممّا لا تُفيده الْمِلَّة، وَيُقال: شرع في الدّين شَرِيعَة، كَما يُقال طرق فِيهِ طَرِيقًا، والْمِلَّة تُفيد اسْتِمْرارَ أهلها عَلَيْها[1].

الشّريعة نَظِيرُ المِلَّة، إلّا أنَّها تُفيد ما يُفِيدهُ الطَّرِيق المأخوذ، والمِلَّة تُفيد اسْتِمْرار أهلِها عَلَيْها

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 222.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»